آيات الإعراض في القرآن الكريم
دراسة موضوعية

د٠ عبد الله عبيد الدوسري (*)

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

يقول الله تعالى:**(كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ)**(١) القرآن هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، أنزله الله تعالى ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور **(كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)**(٢).

هذا القرآن جعله الله نوراً وهدًى ورحمةً وموعظةً وشفاءً لما في الصدور قال الله تعالى : **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ)**(٣)، وقال تعالى : **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا)**(٤).

(*) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت.

(١) سورة ص ، الآية : ٢٩.

(٢) سورة إبراهيم ، الآية: ١.

(٣) سورة يونس، الآية: ٥٧.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٧٤.

والله تعالى أمرنا بتدبر القرآن ، وفهم معانيه ، والتأمل في آياته ، يقول الله تبارك وتعالى : **(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)** [1].

ومن آيات القرآن البينات وحكمه النيرات آيات الإعراض، وكنت منذ زمن أقرأها وأتأملها ورأيتها آيات مختلفة الأغراض واحتوت على معانٍ جليلة حتى إنني رأيت في الآية الواحدة عدة معانٍ ولا عجب في ذلك ، فهذا شأن القرآن وشأن آياته العظيمات وهذا سر إعجازه ، ولما رأيت أن موضوع الإعراض لم يتطرق إليه أحد أردت التأمل في آيات الإعراض والبحث فيها خدمة مني لكتاب الله الكريم .

وكان من لوازم البحث أن أجعله مباحث تطلب بعضها أن يحتوي مطالب وقد كانت الخطة وفق الآتي:

* **المبحث الأول: التعريف بالإعراض، ويشتمل على مطلبين :**

المطلب الأول: عرفت فيه الإعراض في اللغة.

المطلب الثاني: عرفت فيه الإعراض في الاصطلاح.

* **وأما المبحث الثاني:** فكان في ما أمر الله تعالى النبي محمد ﷺ بالإعراض عنه ، وما أعرض النبي ﷺ عنه ، وقد اشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: إعراض النبي ﷺ عن اليهود.

المطلب الثاني: إعراضه ﷺ عن الكفار.

المطلب الثالث: إعراض النبي ﷺ عن بعض أحاديثه مع أزواجه.

المطلب الرابع: إعراضه ﷺ عن السائل.

* **أما المبحث الثالث** : فقد جعلته فيما يُعرض عنه من اللهو، وبيان منزلة الأعمال الصالحة. ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: ما عرض لنبي الله سليمان عليه السلام.

---

(١) سورة محمد الآية: ٢٤.

المطلب الثاني: بيان منزلة الأعمال الصالحة.

* **وأما المبحث الرابع:** فقد جعلته في بيان حال من استجاب لدعوة الحق وحال من أعرض عنها ، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: حال من استجاب لدعوة الحق.

المطلب الثاني: حال من أعرض عن الحق.

* **وأما المبحث الخامس:** فقد جعلته في بيان حال الخلائق يوم العرض على الله تعالى.

ثم الخاتمة التي تناولت فيها أهم نتائج البحث ، ومن بعدها قائمة بأسماء وعناوين الكتب والمصادر التي اعتمدت فيها على كتابة الموضوع .

المبحث الأول

التعريف بالإعراض

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول: الإعراض في اللغة:

مصدر أعرض يعرض، وهو مأخوذ من مادة (ع ر ض) وهي كما يقول ابن فارس: بناء تكثر فروعه، وهي مع كثرتها ترجع إلى أصل واحد وهو العَرض خلاف الطول، ومن ذلك: أعرضت عن فلان، وأعرضت عن هذا الأمر، وأعرض بوجهه، لأنه إذا كان كذا ولاه عرضه (وقيل عارضه) ، والعارض إنما هو مشتق من العرض الذي هو خلاف الطول، ويقال: أعرض الشيء لك من بعيد، فهو معرض، وذلك إذا ظهر لك وبدا، والمعنى أنك رأيت عرضه، وعارضت فلانا في السير، إذا سرت حياله، وعارضته مثل ما صنع، إذا أتيت إليه مثل ما أتى لك.

ومنه اشتقت المعارضة، وكأن عرض الشيء الذي يفعله مثل عرض الشيء الذي أتيته، ويقال: اعترض في الأمر فلان، إذا أدخل نفسه فيه [1].

وقال الراغب: العرض خلاف الطول ، وأصله أن يقال في الأجسام ثم يستعمل في غيرها، وأَعرَضَ أظهر عَرضَه أي ناحيته، فإذا قيل : أَعرَضَ لي كذا أي بدا عَرضُه فأمكن تناوله، وإذا قيل أَعرَض عني فمعناه : ولى مبدياً عَرضَه ، وقول الله تعالى :

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا) [2] الإعراض عن الذكر التولي عنه وعدم قبوله[3].

---

(١) مقاييس اللغة ١ / ٢٧٢.

(٢) سورة طه ، الآية : ١٢٤.

(٣) المفردات في غريب القرآن ١ / ٥٥٩.

يقول المراغي : أعرض عن ذكري : تولى عنه ولم يقبله ولم يستجب له، ولم يتعظ فينزجر عما هو عليه مقيم من مخالفة أمر ربه[١].

وقال النيسابوري في هذه الآية : الذكر هنا هو الهدى، وقوله سبحانه: (أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي)، يقابله : اتبع هداي، وكأن الإعراض ضد الاتباع[٢].

والإعراض عن الشيء : الصد عنه، وأعرض فلان أي ذهب عرضاً وطولاً، وأعرضت الشيء جعلته عريضا، وأعرضت فلانة بولدها إذا ولدتهم عراضا، وتعرضت لفلان تصديت له، وتعرض تعوج، يقال : تعرض الجمل في الجبل: إذا أخذ في مسيره يميناً وشمالاً لصعوبة الطريق[٣].

وقال في اللسان: والمعرض الذي يستدين ممن أمكنه من الناس، وفي حديث عمر رضي الله عنه : فادّان معرضاً ، أي أخذ الدين ولم يبال ألا يؤديه ولاما يكون من التبعة ، وأعرض عن الشيء إذا ولاه ظهر[٤].

المطلب الثاني: الإعراض في الاصطلاح:

قال المناوي: الإعراض ، الإضراب عن الشيء بأن تأخذ عرضاً أي جانبا غير الجانب الذي هو فيه[٥].

قال الكفوي: الإعراض ، الإنصراف عن الشيء بالقلب[٦].

---

(١) تفسير المراغي ١٦ / ١٦٩.

(٢) رغائب الفرقان (بهامش الطبري) : ١٦/١٤.

(٣) الصحاح للجوهري : ١٠٨٨/٣.

(٤) لسان العرب لابن منظور : ١٧٦/٧.

(٥) التوقيف على مهمات التعريف لعبد الؤوف المناوي : ٥٦.

(٦) الكليات لأيوب بن موسى الكفوي : ٢٨.

المبحث الثاني

ما أمر الله تعالى النبي محمد ﷺ بالإعراض عنه وما أعرض النبي ﷺ عنه

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : الإعراض عن اليهود

أمر الله نبينا محمداً ﷺ بالأعراض عن اليهود، والمشركين وغيرهم، ومن هذه الآيات البينات قوله تعالى في اليهود: **(سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)**[1]، وقد تكلم العلماء عن هذه الآية، فمنهم من قال بنسخها، ومنهم من ذهب إلى القول بما دلت عليه الآية من أحكام ومذاهب، وهو ما نبينه ونحن نتأمل ألفاظها ونتعرف على سبب نزولها ومناسباتها وما يتصل بها من موضوعات. ولا خلاف بين العلماء إن هذه الآية نزلت في اليهود، فقد كان الحاكم منهم إذا أتاه مبطلاً برشوة سَمعَ كلامه، وعول عليه، ولا يلتفت لخصمه فكان يأكل السحت، ويسمع الكذب، وكان الفقراء منهم يأخذون من أغنيائهم الأكاذيب لترويج اليهودية والطعن في الإسلام، فالفقراء كانوا يأكلون السحت الذي يأخذونه منهم ، ويسمعون الكذب فهذا هو المشار اليه بقوله تعالى: **(سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ)**[2] [3]، وقيل: سماعون للكذب الذي

---

(١) سورة المائدة ، الآية: ٤٢.

(٢) سورة المائدة ، الآية: ٤٢.

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري: ٦/٢٨٦/ ٢٨٧ ؛ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣ /٥٣٩ ؛ وأسباب النزول للواحدي :١٣٠ ؛ وأسباب النزول للسيوطي : ٨٨.

كانوا ينسبونه إلى التوراة ، أكالون للربا[١]، كما قال تعالى : **(وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ)**[٢] ، وهذا مجمل القول في سبب نزول الآية التي نحن بصددها، وقد جاءت هذه الآية ضمن مجموعة من الآيات التي تبين حال اليهود وما كانوا عليه من كذب وافتراء وتلفيق إلى غير ذلك من الأخلاق المذمومة والأوصاف السيئة التي كانت سبباً في أن يأمر الله تعالى نبيه الكريم بالإعراض عن اليهود.

والحقيقة أن إعراض اليهود عن الحق وعن أوامر الله تعالى هو ديدنهم ، فالمتأمل يجد مجموعة من الآيات التي بيّن الله تعالى فيها بعض التكاليف والشرائع، وبيّن إعراض اليهود عنها متسارعين إلى الكفر[٣] ، كما بين فيها حقد اليهود وحسدهم للنبي ﷺ وتربصهم به وبأصحابه ، وصبر اللهُ رسولَه وأمره بألا يحزن لأجل ذلك فقال: **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ...)** إلى قوله تعالى: **(سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)**[٤] ، وقوله تعالى: **(لِلسُّحْتِ)** معناها أكالون للكسب الحرام كالرشوة وثمن الكلب والخمر والخنزير، وسمي المال الحرام سحتاً لأنه يسحت الطاعات والبركات أي: يذهبها[٥].

---

(١) ينظر: النكت والعيون، للماوردي ٢/ ٤٠ / ٤١ ، وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير: ٩٢/٣ /٩٣.

(٢) سورة النساء ، الآية :١٦١.

(٣) ينظر: جامع البيان : ٢٨٩/٦، والجامع لأحكام القرآن : للقرطبي: ١١٩/٩، وغريب القرآن: للسجستاني:١١٣.

(٤) سورة المائدة ، الآية : ٤٢.

(٥) ينظر: جامع البيان٢٨٩/٦ ، والجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: ١١٩/٩ ، وغريب القرآن: للسجستاني: ١١٣.

وقوله تعالى: (**فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ**) فالمعنى أي إن تحاكموا إليك يا محمد فيما شجر بينهم من الخصومات فأنت مخير بين أن تحكم بينهم وبين أن تعرض عنهم[١]، وقال ابن كثير [٢]: أي إن جاؤوك يتحاكمون إليك فلا عليك أن لا تحكم بينهم لأنهم لا يقصدون بتحكيمهم اتباع الحق بل ما يوافق أهواءهم[٣]، وقيل هذا التخيير الوارد في هذا المقطع منسوخ[٤] بقوله تعالى: (**وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ**)[٥] ، فيجب الحكم بينهم إذا ترافعوا إلينا مع مسلم وهو أصح قولي الإمام الشافعي[٦] ، فلو ترافعوا إلينا مع مسلم وجب القضاء بينهم[٧] وقوله تعالى: (**وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً**) أي لأن الله عاصمك وحافظك من الناس[٨].

وقوله تعالى: (**وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**) أي فاحكم بينهم بالعدل وإن كانوا ظلمة خارجين عن طريق الحق لأن الله يحب العادلين[٩].

وقد دلت هذه الآية على أمور يمكن إيجازها في الآتي:

---

(١) ينظر: البحر المحيط : لأبن حبان:٤٨٨/٣؛ ومختصر تفسير ابن كثير: للصابوني:٥١٩/١؛ والجامع لأحكام القرآن: للشافعي:٧٥/٢.

(٢) هو إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء عماد الدين كان مفسرًا ومحدثًا ومؤرخًا وفقيهًا، توفي سنة ٧٧٤، ينظر: طبقات المفسرين:١١١/١.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم ٩٥/٣.

(٤) ينظر: الناسخ والمنسوخ: للبغدادي:١١٤.

(٥) سورة المائدة ، الآية:٤٩.

(٦) هو الإمام أبو عبد الله بن إدريس الشافعي القرشي الفقيه المشهور، توفي ٢٠٤ ينظر: طبقات الشافعية: للسبكي:١٩٢/١.

(٧) ينظر : أحكام القرآن: للشافعي: ٧٧/٢.

(٨) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١٧٧/١.

(٩) ينظر: تفسير الكبير : للإمام الرازي: ٢٣٥/١١.

١- دلت على كثرة سماع اليهود الكذب ، وكثرة أكلهم مال الحرام كالرشوة في الحكم وحلوان الكهان[١]، ومهر البغي وغير ذلك من أوصافهم السيئة وأخلاقهم الدنيئة . فلذلك أمر الله عز وجل نبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم بالإعراض عنهم؛ لأنهم لا يرضون بحكم لا يوافق أهواءهم.

٢- وأرشدنا قوله تعالى: **(فَإِن جَآؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم)** إلى التخيير في الحكم بين المعاهدين أهل الموادعة ، لا أهل الذمة، فإن النبي ﷺ لما قدم وادع اليهود، ولا يجب علينا الحكم بين الكفار إذا لم يكونوا أهل ذمة ، بل يجوز الحكم إن أردنا فأما أهل الذمة فهل يجب علينا الحكم بينهم إذا ترافعوا إلينا؟ قال المهداوي[٢]: (أجمع العلماء على أن على الحاكم أن يحكم بين المسلم والذمي)[٣].

المطلب الثاني : الإعراض عن الكفار

كما أمر الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ بالإعراض عن اليهود لأنهم أهل معاصٍ وفساد، أمره عز وجل بالإعراض عن المشركين، وبين له حالهم وجزاءهم يوم القيامة كما في قوله تعالى: **(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ)**[٤] ، وقوله تعالى: **(فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ)**[٥].

---

(١) أي ما يعطى على الكهانة.

(٢) هو أبو علي محمد بن أحمد بن عبد العزيز المهداوي ثم المصري البزاز يسوق الفاضل المعروف بابن المطرز، قال ابن حجر: قرأت عليه الكثير توفي في جمادي الأول سنة ٧٩٧، ينظر شذرات الذهب:٦/٣٥٠.

(٣) ينظر: التفسير المنير:٣/٥٥؛ و إحكام القرآن : للشافعي:٢/٧٥؛ والمختصر للمزني:٢٠٤.

(٤) سورة السجدة ، الآية :٢٢.

(٥) سورة السجدة ، الآية :٣٠.

ففي هاتين الآيتين يبين عز وجل حال من أعرض عن آيات الله وأمره عز وجل للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن المشركين وما توعدهم به من عذاب، والمعنى لا أحد أظلم لنفسه ممن وعظه وذكر بآيات الرحمن، ثم ترك الأيمان وتناساها[1]، **(إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ)** أي سأنتقم ممن كذب بآيات أشد الانتقام، ووضع الاسم الظاهر مكان الضمير لتسجيل الإجرام عليه[2] ، ولم يذكر المفسرون سبب نزول هذه الآيات، ولكن بإمكاننا أن نلاحظ أن كفار مكة يتشابهون مع اليهود في فساد أحوالهم واشتراكهم في المعاصي والتكذيب بآيات الله عز وجل والإعراض عنها، وكذلك أمر الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ بالإعراض عن الكفار ، هي نفسها تلك الأسباب التي أمره فيها بالإعراض عن اليهود فقوله تعالى: **(فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ)** معناه: أي فأعرض يا محمد صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء الكفار ولا تبالِ بهم **(وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ)** أي وانتظر ما يحل بهم من عذاب الله أنهم منتظرون كذلك لما يحل بكم، قال الأمام القرطبي[3] (رحمه الله) أي ينظرون بكم حوادث الزمان[4] ، والملاحظ هو الجناس[5] الذي جاء في قوله تعالى: **(وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ)**[6].

---

(١) ينظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: لأبي السعود:ج ٥ / ص ٢٠٥-٢٠٦-٢٠٧؛ وزاد المسير ٣٤٣/٦.

(٢) ينظر جامع البيان للطبري: ٧١/٢١.

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن أبي بكر فرج الأنصاري القرطبي من أهل قرطبة وهو من كبار المفسرين اشتهر بالصلاح والتعبد ، توفي سنة ٦٧١ هـ ينظر: الإعلام ٣٢/٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ١١٢/١٤.

(٥) الجناس: هو تشابه لفظتين في النطق واختلافهما في المعنى : ينظر جواهر البلاغة: ٣٩٦.

(٦) ينظر تفسير البيضاوي: ١٣٣/٢.

المطلب الثالث: إعراض النبي صلى الله عليه وسلم عن أحاديثه مع أزواجه

يبين القرآن الكريم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أعرض عن بعض أزواجه وعن بعض الناس لأسباب يمكننا أن نعرفها وتعرف من خلال دواعي الإعراض وحكمته ونحن نطالع في قوله تعالى: **(وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إلى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ)**[1]، وقوله تعالى: **(وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاء رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً)**[2]، ففي هاتين الآيتين بيان أن النبي ﷺ قد أعرض عن بعض الأمور، فالمتأمل أولا في قوله تعالى: **(وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إلى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ)**، وقد ذكر بعض العلماء أن هذه الآية والتي قبلها نزلت في أزواج النبي ﷺ كما روى الإمام البخاري والإمام مسلم (رحمهما الله) عن عائشة ﵂ أنها قالت كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل وكان صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من العصر دخل على نسائه يمكث عند زينب بنت جحش ﵂ [3]، فشرب عندها عسلاً فتواطأتُ أنا وحفصة[4]، أن أيتنا دخل النبي صلى الله عليه وسلم عليها

---

(١) سورة التحريم: الآية: ٣.

(٢) سورة الإسراء ، الآية: ٢٨.

(٣) زينب بنت جحش هي أم المؤمنين كانت تحت زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ فلما طلقها تزوجها رسول الله ﷺ قال تعالى:((فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها)) فكانت تفتخر على نساء النبيﷺ فتقول زوجكنّ أهاليكنّ وزوجني الله من فوق سبع سماوات: ينظر أسد الغابة: ٤٦٣/٥، وطرح التثريب : ١٤٣/١.

(٤) هي بنت عمر بن الخطاب ﵁ أم المؤمنين بقيت المصاحف عندها بعد موت النبي ﷺ ، وتوفيت سنة ٤١ هـ، ينظر أسد الغابة: ٤٢٥/٥١.

فلتقل له إني أجد منك ريح مغافير[1] ، أأكلت مغافير، فقال لا ، بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش، ولن أعود إليه وقد حلفت لا تخبري بذلك احداً[2]، وقد كانت عائشة وحفصة رضي الله عنهما وعن أبيهما متصافيتين متظاهرتين على سائر نساء النبي ﷺ ويقال أن التي دخل عليها النبي ﷺ وحرم على نفسه العسل أمامها هي حفصة ﷺ فأخبرت عائشة ﷺ بذلك ، مع أن النبي ﷺ استكتمها الخبر كما استكتمها ما أسرها به من الحديث الذي يبشرها ويبشر عائشة أن أباها وأبا عائشة يكونان خليفتين على أمتي من بعدي.[3]

فالسر كان لها بأمرين:

١. تحريم العسل الذي كان يبقيه عند زينب رضي الله عنها.
٢. أمر الخلافة لأبيها من بعده.
٣. وقال ابن عباسﷺ وما أسر إلى حفصة من تحريم الجارية على نفسه.[4]

فقوله تعالى: **(وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً)** وذكر حين أسر النبي صلى الله عليه وسلم إلى زوجته رضي الله عنها خبراً واستكتمها إياه وطلب منها ألا تخبر بذلك أحداً **(فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ)** أي فلما أخبرت بذلك السر عائشة وأفشته لها **(وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ)** أي واطلع الله نبيه بواسطة جبريل الأمين على إفشائها للسر **(عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ)** أي أعلمه وأخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض الحديث الذي أفشته معاتباً لها ولم يخبرها بجميع ما حصل منها حياءً منه وكرماً، فأن من عادات الفضلاء التغافل عن الزلات،

---

(١) نبت كريه الرائحة، أي صمغ حلو ، له رائحة كريهة من شجر العرفط في الحجاز. ينظر لسان العرب.

(٢) ينظر صحيح البخاري: ١٨٦٥/٤، رقم الحديث:٤٦٢٨، وأسباب النزول للواحدي: ٢٩٢/٢٩١.

(٣) ينظر: تفسير المراغي ١٥٦/٢٨.

(٤) ينظر : تفسير الكبير: للرازي ٤٣/٣٠.

والتقصير في اللوم والعتاب[١]، والملاحظ هنا اختلاف القراء في قراءات ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار غير الكسائي[٢]، (عرّف) بتشديد الراء بمعنى عرف النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بعض ذلك الحديث وأخبرها به[٣].

وكان الكسائي يذكر عن الحسن البصري[٤] وأبي عبد الرحمن السلمي وقتادة[٥]، أنهم قرأوا(عرف) بتخفيف الراء بمعنى عرف لحفصة بعض ذلك الفعل الذي فعلته من إفشائها سره، وقد استكتمها إياه أي غضب من ذلك عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجازاه عليه، من قول القائل لمن أساء إليه : لأعرّفن لك يا فلان ما فعلت ، بمعنى : لأجازينك عليه ، قالوا: وجازاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من فعلها بأن طلقها[٦].

قال الإمام الطبري[٧] رحمه الله : وأولى القراءتين في ذلك عندي قراءة من قرأ (عرّف) بتشديد الراء بمعنى عرّف النبي صلى الله عليه وسلم حفصة،

---

(١) ينظر: روح المعاني: الآلوسي: ١٥٠/٢٨.

(٢) وهو علي بن حمزة بن عبد الله أبو الحسن من ولد بهمن بن فيروز مولا بن أسد، إمام الكوفيين في النحو و اللغة وأحد القراء السبعة المشهورين ، مات في الرى سنة (١٨٢ هـ) وقيل غير ذلك ، ينظر: بغية الوعاة:٢٦١/٢.

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري: ١٦٠/٢٨.

(٤) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري من كبار الفقهاء وسادة التابعين، كان إمام أهل زمانه في الفقه والورع والتقوى، توفي في البصرة (سنة١١٠)، ينظر: تهذيب ألتهذيب:٢٣٦/٢: وشذرات الذهب:١٣٦/١،والأعلام:٢٤٢/٢.

(٥) وهو قتادة بن دعامة أبو الخطاب الدوسي البصري، توفي ١٨٨ هـ، تابعي جليل وحافظ ومفسر من طبقة أهل العراق. ينظر : تهذيب التهذيب: ٤٢٨/٣، وفيات الأعيان: ٨٥/٤، وطبقات الحفاظ: ٤٥.

(٦) ينظر الحجة في القراءات لابن زنجلة: ٧١٣، جامع البيان: ١٦٠/٢٨.

(٧) هو الأمام العلامة الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الآملي الطبري، رحل في طلب الحديث إلى أقطار الأرض، استوطن بغداد ، قال أبو حامد الإسفراييني : (لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل على كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيرًا) توفي سنة (٣١٠ هـ). ينظر: تاريخ بغداد: ١٦٢/٢، والأعيان:٣٣٢/٣، ومعجم الأدباء:٤٢٣/٦.

يعني ما أظهره الله عليه من حديثها صاحبتها، لإجماع الحجة من القراء عليه[١] .

وقوله تعالى: (**وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ**) يقول وترك أن يخبرها ببعض[٢].

وقوله تعالى: (**فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ**) أي فلما أخبر النبي ﷺ حفصة بأنها قد أفشت سره (**قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا**) أي قالت: من أخبرك يا رسول الله بأني أفشيت سرك؟

قال ابن حبان[٣] رحمه الله :(ظنت حفصة أن عائشة رضي الله عنهما فضحتها وكانت قد استكتمتها، فقالت من أنبأك هذا على سبيل التثبت، فأخبرها أن الله عز وجل هو الذي نبأه به فسكتت وسلمت)[٤] ،(**قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ**) أي قال ﷺ أخبرني بذلك رب العزة[٥]، وقد دلت الآية بجملتها على أمور يمكن إيجازها في الآتي:

١. للنساء بسبب الغيرة الفطرية الشديدة التأثير مواقف غريبة وعجيبة من بعضهن البعض.

٢. يصعب على النساء كتمان السر فقد أسر النبي ﷺ لزوجته حفصة تحريم العسل أو شربه على نفسه واستكتمها السر ، فأباحت به لعائشة.

٣. يغفل الإنسان غالباً عن أن الله عالم خبير به وبأحواله، فيتصرف تصرفات الغافل غير الواعي ولا المدرك لما يفعل ولا يحسب الحساب اللازم لمن يراه ويحاسبه على أعماله.

---

(١) ينظر: جامع البيان:١٦٠/٢٨.

(٢) المصدر السابق. ١٦٠/٢٨.

(٣) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حبان الأندلسي، ولد سنة ٦٥٤ هـ، وتوفي سنة ٧٤٥ هـ، وهو من كبار العلماء. ينظر: النجوم الزاهرة:١١١/١٠.

(٤) ينظر البحر المحيط: ٢٩٠/٨.

(٥) ينظر: صفوة التفاسير، ٤٠٨/٣.

وهذا ما كان من حفصة التي فاجأها النبي صلى الله عليه وسلم بما فعلت، وأعلمها أن الله أخبره بذلك.

٤. القرآن تهذيب وتربية وتعليم لذا حث الله سبحانه وتعالى حفصة وعائشة على التوبة على ما كان منهما من الميل إلى مخالفة محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيم شأنه وإعلاء قدرة وصون سره، فقد زاغت ومالت قلوبهما عن الحق، وهو أنهما أحبتا ما كره النبي صلى الله عليه وسلم من اجتناب جاريته واجتناب العسل، وكان صلى الله عليه وسلم يحب العسل والنساء محبة فيها اعتدال وإعزاز وإكرام للنساء(١).

المطلب الرابع: إعراضه صلى الله عليه وسلم عن السائل

يبين القرآن الكريم ما أودع الله عز وجل من صفات طيبة وأخلاق كريمة في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويكفينا من هذه الآيات قوله تعالى في حق هذا النبي العظيم والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم **(وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)**(٢)، فكيف يدرك الإنسان بعد هذه الآية الكريمة حقيقة هذا النبي العظيم ولله درُّ القائل:

فكيف يدرك في الدنيا حقيقته قوم نيام تسلوا عنه بالحلم(٣)

والمتأمل في آيات القرآن الكريم وبخاصة تلك الآيات التي تكشف لنا وتلقي بضوئها على شخصية نبينا العظيم صلى الله عليه وسلم ومن تلك الآيات ما جاءنا ونحن نبحث في موضوع الإعراض، قال تعالى: **(وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاء رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً)**(٤)، فقد أخرج سعيد بن

(١) ينظر: التفسير المنير: وهبة الزحيلي: ٦٩٩/١٤.

(٢) سورة القلم : الآية ٤.

(٣) بيت من البردة للامام البصيري: ينظر البحر الكامل.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٢٨.

منصور[١] عن عطاء الخرساني[٢] قال: (جاء ناس من مزينة[٣] يستحملون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً وظناً ذلك من غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله قوله: **(وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ.....)**[٤]. وعن الضحاك[٥] قال في من كان يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المساكين[٦]، وأين كان سبب نزول الآية فقد دل معناها على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخلق العظيم مع السائل.

فمعنى هذه الآية كما يقول الإمام الطبري رحمه الله: (يقول تعالى ذكره وإن تعرض يا محمد عن هؤلاء الذين أمرتك أن تؤتيهم حقوقهم، إذا وجدت إليها السبيل، بوجهك عند مسألتهم إياك، ما لم تجد إليه سبيلا حياءً منهم ورحمة لهم**(ابْتِغَاء رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ)** يقول: انتظار رزق تنتظره من عند ربك ، وترجو تيسير الله إياه لك ، فلا تؤيسهم، ولكن قل لهم قولاً ميسوراً ، يقول: ولكن عدهم

---

(١) هو سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني أبو عثمان المروزي الطالقاني، ولد بجورجان ونشأ ببلخ وطاف وسكن مكة ومات بها سنة ٢٢٧ هـ ، وثقه أبو حاتم وكثيرون، له مصنفات بالحديث ، ينظر: تهذيب التهذيب: ٨٩/٤، والعبر: ٣٩٩/١، وتذكرة الحفاظ رقم: ٤٢٢.

(٢) هو عطاء بن أبي رابح الخرساني، أصله من بلخ وعداده في البصريين، وإنما قيل له الخرساني لأنه دخل إلى خراسان ثم رجع الى العراق وكان من خيار عباد الله، قال الترمذي: هو ثقة. ينظر: سير أعلام النبلاء: ١٤١/٦.

(٣) من المزن : السحاب الواحد مزنة وتصغيرها مزينه وبها سميت القبيلة والنسبة إليها مزنى حذفت الياء للتصغير ، ينظر: المصباح المنير: ٥٧١/٢، ولسان العرب: ٤٠٦/١٣.

(٤) ينظر: أسباب النزول : للسيوطي: ١٣٦.

(٥) الضحاك بن قيس بن خالد بن وهب الفهري القريشي من صغار الصحابة كان مع معاوية فولاه الكوفة وهو الذي صلى على معاوية وقام بخلافته حتى قدم يزيد، وأظهر الضحاك بيعة ابن الزبير، وقتل بمرج راهط سنة ٦٤ هـ ، روى عن حسن البصري وميمون بن مهران. ينظر: الإستيعاب: ٢٠٥/٢، والإصابة في تمييز الصحابة: ٢٠٧/٢.

(٦) ينظر: جامع البيان: ٧٥/١٥، وأسباب النزول للسيوطي: ١٣٧.

وعداً جميلا بأن تقول سيرزق الله فأعطيكم وما أشبه ذلك من القول اللين، غير الغليظ)[١] ، كما قال عز وجل: **(وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ)**[٢]، ففي هذه الآية الكريمة يعلمنا عز وجل كيفية التعامل مع السائل. وفى الآية دليل على أنه يجب على المسلم التحلي بالأدب الرفيع والذي هو رد ذي القربى بلطف ووعدهم وعداً جميلاً بالصلة عند اليسر، والاعتذار إليهم بما هو مقبول وتطييب الخاطر، ولا يعرض الشخص عنه إعراض مستهين وهو في حال الغنى والقدرة، فيحرمهم حقهم لقوله تعالى: **(وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ)** أي أن أعرضت يا محمد عن إعطائهم لضيق يد فقل لهم قولاً ميسوراً ، أي أحسن القول، وابسط العذر وادع لهم بسعة الرزق، وقل إذا وجدت فعلت وأكرمت، فإن ذلك يعمل في مسرة نفسه عمل المواساة[٣].

(١) ينظر: جامع البيان:١٥/٧٤.

(٢) سورة الضحى، الآية ١٠.

(٣) ينظر:التفسير المثير ، وهبة الزحيلي: ٨/٦٧.

المبحث الثالث

ما يُعرض عنه من اللهو
وبيان منزلة الأعمال الصالحة

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: ما عُرض لنبي الله سليمان عليه السلام

للأعمال التي أمرنا الله تعالى القيام بها كالصلاة والزكاة وغيرها من الأعمال التعبدية منزلة عالية وفضل كبير لذلك أمرنا الله عز وجل بأدائها على أحسن ما يكون وبين لنا عز وجل أن نترك كل العوارض والشواغل التي تعترض الأعمال الصالحة وحذرنا من ترك الأعمال الصالحة والالتفات إلى زخرف الدنيا وزهوها الباطل في الكثير من الآيات البينات، ومن هذه الآيات هي تلك الآية التي تتعلق بموضوع بحثنا هذا وهي قوله عز وجل: **(وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ *إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ)**[1]، وقد ذكر بعض المفسرين في تفسيرها أن سليمان عليه السلام عرض عليه خيل وجياد في وقت العصر فألهاه ذلك عن صلاة العصر فغضب، وطلب من الله أن يرد عليه الشمس بعد غروبها ليصلي العصر فردت إليه، ثم غضب على الخيل التي كانت سبباً في فوات الصلاة فقطع أعناقها وسوقها[2].

وقد ذكر العلماء أوصافاً كثيرة لتلك الخيول منها :

١. أنها كانت عشرين فرساً ذات أجنحة[3].

٢. ومنها ما ذكره الإمام الرازي أنه وصفت تلك الخيول بوصفين:

---

(١) سورة ص: الآية: ٣٠-٣١.

(٢) ينظر : زاد المسير: ٧/٢٣-٢٤.

(٣) ينظر: جامع البيان: ٢٣/١٥٤.

الأول: الصفون: وهو صفة دالة على فضيلة الفرس.

الثاني: الجياد: وهي شديدة الجري، والمراد بوصفها بالفضيلة والكمال في حالي الوقوف والحركة، فإذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في موقفها ، وإذا جرت كانت صراعاً في جريها(١).

قال المفسرون عرضت عليه الآلاف من الخيل تركها له أبوه، فجرت بين يديه عشياً فتشاغل بحسنها وجريها ومحبتها عن ذكر له خاص حتى غابت الشمس(٢).

وأول ما يلاحظ على هذه القصة هو أنما ذكرها الله عز وجل بعد قول المشركين كما حكاه القرآن في قوله تعالى: **(وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ)**(٣) ، وقد بلغ مبلغاً من السفاهة عظيماً، حتى قال الله للنبي صلى الله عليه وسلم : **(اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ)**(٤) ، ثم ذكر بعد ذلك قصة سليمان، وهذا الوضع والسياق يفيد أن القصص سيقت لبيان جلائل الأعمال، وفضائل الأعمال التي قام بها هؤلاء الأنبياء وأصحابهم، وعلى هذا، فداوود وسليمان ليس من الحق أن نفهم فيهما أنهما أتيا أعمالاً تنتفي مع مركز النبوة وشرف الرسالة ، وخاصة بعد قول الله للنبي صلى الله عليه وسلم اصبر واذكر داوود وسليمان أي تأس بهؤلاء(٥)، وعبارات الآية واضحة في قوله

---

(١) ينظر: التفسير الكبير :٢٠٤/٢٦.

(٢) ينظر جامع البيان :١٥٤/٢٣-١٥٥، وزاد المسير: ٢٣/٧-٢٤، تفسير الرازي: ٢٠٤/٢٦.

(٣) سورة ص : الآية ١٦.

(٤) سورة ص: الآية ١٧.

(٥) ينظر: تعبير الواضح: ١٥٧/٢٣.

تعالى: **(إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ)** وهو ما بعد الزوال[١] ، وقوله تعالى: **(الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ)** أي صفون الفرس: رفع إحدي يديه، حتى يكون على طرف الحافز[٢].

المطلب الثاني: منزلة الأعمال الصالحة

ولعظم شأن الأعمال الصالحة والتكاليف الشرعية التي أمرنا الله بها فقد أكثر القرآن الكريم من التنبيه عليها وخطرها وبيّن عقوبة من تركها أو أعرض عنها فمن ذلك قوله تعالى: **(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً)**[٣] ، ففي قوله تعالى: **(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ)**، فيها قولان: **أحدهما:** أنها الفرائض ، عرضها الله عز وجل على السماوات والأرض والجبال، أن أدتها أثابها وإن ضيعتها عذبها، فكرهت ذلك وعرضها على آدم فقبلها بما فيها ، رواه بن أبي طلحة[٤] عن ابن عباس[٥] وكذلك قال سعيد بن جبير[٦] : عرضت الأمانة على آدم فقيل: له تأخذها بما فيها، إن أطعت غفرت لك، وأن عصيت عذبتك، فقال: قبلت، فما كان

---

(١) ينظر :تفسير الواضح: ١٧٥/٢٣.

(٢) ينظر: زاد المسير: ٢/٧.

(٣) سورة الأحزاب، الآية:٧٢

(٤) علي بن أبي طلحة، مُحدث ومُفسّر، ورحل إلى مصر، وعاش بها، روى التفسير عن ابن عباس، توفي في حمص سنة ١٤٣هـ

(٥) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم الرسول ﷺ حبر الأمة وترجمان القرآن، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، أحد المكثرين بالرواية عن رسول الله ﷺ ، توفي بالطائف سنة ٦٨هـ . ينظر الاستيعاب: ٣٥٠/٢، وتذكرة الحفاظ: ٤٠/١، والإصابة: ٣٣٠/٢.

(٦) عبد الله سعيد بن جبير الأسدي مولاهم الكوفي ، الإمام العالم الفقيه ثقة ثبت قتله الحجاج سنة ٩٥هـ . ينظر معرفة القراء الكبار: ٦٥/١، وشذرات الذهب: ١٠٨/١.

إلا بين صلاة العصر إلى أن غربت الشمس حتى أصاب الذنب. وممن ذهب إلى أنها الفرائض قتادة ، والضحاك، والجمهور[١].

والثاني: أنها الأمانة التي يأتمن الناس بعضهم بعضاً عليها. روى السدي[٢] عن أشياخه أن آدم لما أراد الحج قال للسموات احفظي ولدي بالأمانة، فأبت، وقال للأرض فأبت، وقال للجبال فأبت، وقال لقابيل فقال: نعم تذهب وتجيء وأهلك كما يسرك ، فلما انطلق آدم قتل قابيل هابيل، فرجع آدم فوجد ابنه قتل أخاه، فذلك حيث يقول الله عز وجل: **(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ)** إلى قوله: **(وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ)** وهو ابن آدم فما قام بها[٣] .

قوله تعالى: **(إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً)** فيه ثلاثة أقوال :

أولهما: ظلوماً لنفسه غراً بأمر ربه، قاله ابن عباس والضحاك.

الثاني: ظلوماً لنفسه ، جهولاً بعاقبة أمره ، قاله مجاهد.

الثالث: ظلوماً بمعصية ربه ، جهولاً بعاقبة الأمانة، قاله ابن السائب[٤] .

وخلاصة المعنى:

إنا عرضنا الأمانة ، التكاليف كلها الطاعات والفرائض، عرضناها على السماوات والأرض والجبال فلم تطقها وأبين أن يحملنها وحملها الإنسان على ما بها إنه كان ظلوماً جهولا ، وهكذا فقد حمل الإنسان الأمانة على ما بها من جزاء العاملين وعذاب المقصرين ولم يأبَ حملها ولم يشفق منها ومن عذابها إنه كان ظلوما لنفسه جهولاً لم يعمل ما يقيه من العذاب المعد لمن خان الأمانة، ولم يوفِ بالعهد وكان من نتائج أن الله حمّله تلك التكاليف فحملها: أن الله يعذب المشركين

---

(١) ينظر : زاد المسير: ٢٧/٦، والتسهيل في علوم التنزيل لابن جزي : ١٤٥/٣.

(٢) محمد بن مروان بن عبد الله بن إسماعيل السدي وهو المعروف بالسدي الصغير ، ينظر: ميزان الاعتدال: ٣٢/٤، طبقات المفسرين: ٢٥٥/٢.

(٣) ينظر: جامع البيان : ٥٦/٢٢-٥٧، وزاد المسير: ٢٢٨/٦.

(٤) ينظر :جامع البيان: ٥٧/٢٢ – ٥٨ .

والمنافقين على أعمالهم السيئة وعلى خيانتهم الأمانة وعدم وفائهم بالوعود ، وكان من نتائج ذلك أيضا : أن الله يتوب على المؤمنين، ويثيبهم على ما عملوا من صالح الأعمال ، وعلى ما أدوا من أمانات ووفوا بالتزامات وكان الله غفوراً رحيما(١).

وقد كان غرض تصوير الأمانة وثقل حملها والمعنى واضحاً كما تقدم أن تلك الأمانة في عظم الشأن بحيث لو كلفتك هاتيك الأجرام العظام التي هي مثلٌ في القوة والشدة مراعاتها وكانت ذات شعور وإدراك لأبين قبولها وأشفقن منها(٢).

(١) ينظر: التفسير الواضح: ٣٠/٢٢.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود: ٢٢١/٤.

المبحث الرابع

بيان حال من استجاب لدعوة الحق

وحال من أعرض عنها

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: حال من استجاب لدعوة الحق

مدح الله عز وجل في كتابه الكريم الذين يعرضون عن اللهو ويستجيبون إلى الدعوات الطيبة، من أهل الكتاب وغيرهم، كما جاء ذلك في قوله تعالى: **(وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ)**[1]، قال قتادة في سبب نزولها : كنا نحدث أنها نزلت في أناس من أهل الكتاب كانوا على الحق حتى بعث الله محمداً فآمنوا ، منهم عثمان وعبد الله بن سلام[2] [3] ، وهؤلاء صنف في قلبه ميل إلى الخير وفي نفسه استعداد لقبول الطيب من الدعوات[4] .

وقد انطوى تحت هذه الآية فوائد جمة فهي تبين من خلال ألفاظها الواضحة البيان والمعنى أنه إذا كان الإيمان بالله تعالى صحيحاً منسجماً مع الوحي الثابت الصحيح، سهل التقاء رافد الإيمان، وتيسير الدمج بين الإيمانين ، إن تجرد

---

(١) سورة القصص-الآية:٥٥.

(٢) هو ابن الحارث الإمام الحبر المشهود له بالجنة أبو الحارث الإسرائيلي حليف الأنصار من خواص أصحاب النبي ﷺ كان اسمه الحصين فغيره النبي ﷺ بعبد الله، شهد فتح بيت المقدس، أسلم وقت هجرة النبي ﷺ وقدومه، وفيه نزل قوله تعالى: ((قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ)) سورة الأحقاف: الآية (١٠)، قال له النبيﷺ تموت وأنت مستمسك بالعروة الوثقى، قال فيه النبي ﷺ هو عاشر عشرة في الجنة، توفي سنة ٤٣ هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء : ٤١٣/٢.

(٣) ينظر:تفسير القرآن العظيم: ٣٩٤\٣، وأسباب النزول للسيوطي:١٦٨.

(٤) ينظر: التفسير الواضح: ٤٢/٢٠.

الإنسان من العصبية والهوى، والمصلحة الذاتية، والنفع المادي، وهذا ما تحقق للجماعة من أهل الكتاب من بني إسرائيل كما تقدمت الإشارة إليه ونحن نبين سبب نزولها، فهؤلاء آمنوا بالله رباً واحداً لا شريك له قبل القرآن بمقتضى كتابهم السماوي، ثم آمنوا بالقرآن لمطابقته مع أصل ذلك الكتاب المتقدم(١)، ويقال إن هؤلاء النفر الذين نزلت فيهم الآية نصارى من أهل نجران، ومن أسلم من علماء النصارى وهم أربعون رجلاً قدموا مع جعفر بن أبي طالب(٢) المدينة، والحق أن هؤلاء المؤمنين بالقرآن من أهل الكتاب يضاعف لهم الثواب و الأجر مرتين مرة لإيمانهم بكتابهم ولإيمانهم بالقرآن وبسبب صبرهم على الأذى الذي يلقونه من الكفار، فقوله تعالى : **(وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ)** أي إذا سمعوا الشتائم و الأذى من الكفار وسمعوا ساقط الكلام، لم يلتفتوا إليه ولم يردوا على أصحابه(٣) **(وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ)** أي لنا طريقنا ولكم طريقكم(٤)، **(سَلَامٌ عَلَيْكُمْ)** أي سلام متاركة ومباعدة، قال الزجاج(٥) لم يرد التحية وإنما أراد بيننا وبينكم المتاركة (٦)**(لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ) أي** لا نطلب صحبتهم ولا نريد مخالطتهم(٧).

---

(١) ينظر: تفسير المثير:١٠\٤٩٤.

(٢) هو أبو عبد الله ابن عم الرسول ﷺ وهو أخو علي بن أبي طالب ﷺ ، وهو أسن من علي ﷺ بعشر سنين، هاجر الهجرتين وهاجر من الحبشة إلى المدينة فوافى المسلمين وهو على خيبر، ثم أقام بالمدينة أشهر ثم أمره الرسول ﷺ على جيش غزوة مؤتة بناحية الكرك فاستشهد فيها وقد سر الرسول ﷺ كثيرا بقدومه وحن والله لوفاته، قال عنه الرسول ﷺ (رأيت جعفر له جناحان في الجنة). ينظر: سير أعلام النبلاء:١\٢٠٦.

(٣) ينظر:جامع البيان:٢٠\٥٥-٥٦.

(٤) ينظر:الجامع لأحكام القرآن:١٣\٢٦٣.

(٥) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاج، ت٣٣٧هـ. ينظر:٢٩٩.

(٦) ينظر:زاد المسير:٦\٢٨٥.

(٧) ينظر:تفسير ابن كثير:٣ \١٨١.

قال الصاوي[١](رحمه الله) كان المشركون يسبون مؤمني أهل الكتاب ويقولون: تبا لكم أعرضتم عن دينكم وتركتموه؟ فيعرضون عنهم ويقولون : لنا أعمالنا ولكم أعمالكم[٢]

المطلب الثاني: حال من أعرض عن الحق

يلاحظ المتأمل في آيات القرآن الكريم أن الله عز وجل قد بين فيها حال من يستجيبون إلى دعوة الحق ومن طاعة أوامر الله تعالى التي جاء بها على يدي رسوله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كما بيّن عز وجل حال من أعرض من دعوة الحق ولم يعمل بأوامر الله ونواهيه، وقد تقدم في المطلب الأول بيان من استجاب لدعوة الحق ولم يعرض عنها، أما في هذا المقام فنتناول بيان حال من أعرض عن دعوة الحق ولم يعمل بمقتضاها ونحن نتأمل في قوله تعالى: **(فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ)**[٣]، وقد جاءت هذه الآية ضمن آيات تحكي لنا قصة قوم بلقيس وما كان من أمرهم وعدولهم عن طريق الحق، وقد جاءت هذه القصة بعد أن بين القرآن الكريم حال الشاكرين لنعم الله المنيبين إليه، وهم داوود وسليمان عليهما السلام، كما في الآيات السابقة، يبين الله تعالى حال الكافرين بأنعمه ، بحكاية قصة أهل سبأ[٤] تحذيراً لقريش، ووعداً لكل من يكفر بنعم الله

---

(١) هو الشيخ مصطفى الصاوي الشافعي كان عالما نجيبا وشاعرا لبيبا،ينظر:عجائب الأثار ٥١٦\٢.

(٢) ينظر:حاشية الصاوي على الجلالين :٢٢١\٣.

(٣) سورة سبأ-الآية:١٦.

(٤) سبأ: أرض باليمن مدينتها مأرب، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام، وسميت بهذا الاسم لأنها كانت منازل ولد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ينظر معجم البلدان باب السين والياء(مادة سبأ) ٤٢٥\٢.

تعالى[١]، وقد أخرج العلماء في سبب نزولها أن فروة بن مسيك الغطفاني[٢] رضي الله عنه قدم على رسول الله ﷺ فقال : يا نبي الله إن سبأ كان لهم في الجاهلين عز، وأني أخشى أن يرتدوا عن الإسلام، أفأقاتلهم ؟ فقال ﷺ: ما أمرت بشيء بعد، فأنزلت هذه الآية [٣] التي تحكي لنا قصة قوم سبأ وما كان من إعراضهم عن الحق وتتلخص هذه القصة بأن سبأ كانت ملوك اليمن ، وبلقيس صاحبة سليمان عليه السلام من جملتهم، وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وعيشهم واتساع أرزاقهم وثمارهم، وبعث الله تبارك وتعالى إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه ويشكروه بتوحيده وعبادته، فكان كذلك ما شاء الله تعالى، ثم أعرضوا عما أُمر به فعوقبوا بإرسال سيل العرم، وتفرقوا في البلاد[٤] فقوله تعالى : **(فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ)**، أي فأعرضوا عن طاعة الله وشكره، واتباع أوامر رسله، فأرسلنا عليهم السيل المدمر المخرب الذي لا يطاق بشدته وكثرته، وغرق بساتينهم ودورهم، قال الإمام الطبري: وحين أعرضوا عن طريق الرسل ، ثقب ذلك السد الذي كان يحبس عنهم السيول ، ثم فاض الماء على جناتهم ، وخرب أرضهم وديارهم[٥]. وفي العرم أربعة أقوال:

الأول: العرم هو الشديد ، روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

---

(١) ينظر:التفسير الكبير : للرازي:١٢٥\٢٥٠.

(٢) فروة بن مسيك الغطفاني من اليمن أسلم سنة ٩هـ وسكن الكوفة وفي حديثه أن النبي ﷺ أمره على قتال من لم يسلم من أهل سبأ ثم شرط عليه أن يراجعه في أمرهم . ينظر: تهذيب التهذيب : ٢٣٨\٨،والجرح والتعديل:٨٣\٧.

(٣) ينظر أسباب النزول للسيوطي:١٨٥.

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير:٥٣٠\١٣.

(٥) ينظر: جامع البيان :٧٨\٢٢.

الثاني : أنها اسم الوادي ، روي عن ابن عباس.

الثالث: أنها المسُناة[١]،روي عن مجاهد وغيره[٢] ، وإياه عنى الأعشى[٣] بقوله :

ففي ذاك للمؤتسي أُسوة ومأرب عفى عليه العرم

رجام بنته لهم حمير إذا جاء ماؤهم لم يرم[٤]

الرابع: أن العرم هو الجُرذ الذي نَقَبَ السِّكْرَ عليهم .[٥]

وقوله تعالى : **(وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ)**، أي وأبدلناهم بتلك البساتين الغناء ، بساتين قاحلة ، ذات أكل مُرّ بشع [٦]، وقوله تعالى : **(وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ)** فيه تقديم، وتقديره: وشيء قليل من سِدر، وهو شجر النَبق، والمعنى أنه الخمط والأثل في جنتيهم أكثر من السدر، قال قتادة: بينما شجرهم من خير الشجر، إذ صيرهُ الله من شر الشجر[٧]. وقوله تعالى : **(ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم)** أي: ذلك التبديل جزيناهم **(بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ)** وتساءل الزمخشري والقرطبي رحمهما الله لِمَ خص الله تعالى المجازاة بالكفور ولم يذكر أصحاب المعاصي؟ والجواب: أن المراد الجزاء الخاص وهو العقاب

---

(١) المسناة: حائط يبنى في وجه الماء، ويسمى السد. ينظر لسان العرب:١١٢\٣٩٤، والمصباح المنير (مادة السنن):١١\٢٩٢.

(٢) ينظر: جامع البيان: ٢٢\٧٩.

(٣) هو سعد بن ضبيعة بن قيس كان أعمى ويكنى أبا بصير، كان جاهلياً وأدرك الإسلام آخر عمره، مات في قرية اليمامة. ينظر: الخزانة: ١\٨٣، والأغاني لأبي فرج الأصفهاني ١١\٢٥٧.

(٤) البيتان للأعشى بن قيس من قصيدة يمدح فيها قيس بن معد يكرب، ينظر: ديوان الأعشى طبعة القاهرة:٤٣.

(٥) ينظر: غريب القرآن للسجستاني:١٤١.

(٦) ينظر: جامع البيان:٢٢\٨٠.

(٧) ينظر: زاد المسير:١٦\٢٤٠.

بالاستئصال والإهلاك، وليس المراد الجزاء العام الذي يشمل الكافر والمؤمن، هذا في الدنيا وأما في الآخرة فقالت السيدة عائشة رضي الله عنها : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :(من حوسب هلك، فقلت يا نبي الله، فأين قوله جل وعز **(فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً)**[1] قال :إنما ذلك العَرْضُ، ومن نوقش الحساب هلك)[2]، والمعنى: أن الكافر يجازى على أعماله ويحاسب عليها ويُحبَط ما عمل من خير[3] .

ويمكن أن نوجز أهم ما دلت عليه الآية بالآتي :

١- لقد كانت لقبيلة سبأ بساتين كثيرة وخيرات وفيرة ، وتلك علامات دالة على قدرة الله الخالق وبالرغم من ذلك لم يهتدوا للحق .

٢- كان جديراً بهؤلاء أن يشكروا نعم الله عليهم ،بالإيمان والطاعة والعمل الصالح.

٣- هذا التبديل من النعمة إلى النقمة والعذاب الأليم ، لا يُعاقب به إلا من طغى في الجحود وكفران النعمة .

وباختصار: فقد قص الله علينا في القرآن الكريم أمثال قصة قوم بلقيس وأهل سبأ الكثير من القصص التي لو أردنا أن نتأمل فيها لاقتضى منا ذلك موضوعاً مستقلاً. مثال ذلك قوله تعالى : **(وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ)**[4]، وقوله تعالى: **(فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ * إِذْ جَاءتْهُمُ الرُّسُلُ مِن**

---

(١) سورة الانشقاق ، الآية:٨.

(٢) ينظر: سنن الترمذي:٦١٧\٤.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن:٨٨\١٤ ، وتفسير الكشاف للزمخشري:٤٥٥\٣.

(٤) سورة الأحقاف- الآية:٢٠ .

بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّـهَ)[1]، إلى غير ذلك من الآيات البينات التي تبين حال المعرضين عن الحق كقوم ثمود وقوم عاد وقوم فرعون وكفار مكة.

المطلب الخامس: حال الخلائق يوم العرض على الله تعالى

يبين لنا القرآن الكريم في كثير من آياته أن الناس يعرضون على الله تعالى يوم القيامة فيجازي عز وجل كلا على عمله إن كان خيراً فثواب ونعيم ، وإن كان شراً فعقاب وجحيم. فمن ذلك قوله تعالى : **(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أُوْلَـئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)**[2]، ولم يذكر المفسرون في نزول هذه الآية سبباً معيناً ، والظاهر أنها جاءت ضمن سلسلة من الآيات التي تحدث القرآن الكريم فيها عن فريقين من الناس: وهما الذين يريدون الدنيا وزينتها ، والذين يريدون الآخرة ونعيمها، وقد أبان فيها حال الفريقين في الدنيا والآخرة[3]، وعبارات الآية واضحة فقوله تعالى: **(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً)** أي الكافر والمنافق **(أُوْلَـئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ)** فيسألهم عن أعمالهم، وقوله **(وَيَقُولُ الأَشْهَادُ)** يعني الملائكة والأنبياء الذين شهدوهم وحفظوا عليهم ما كانوا يعملون **(هَؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ)** يقول: شهد هؤلاء الأشهاد في الآخرة على هؤلاء المفترين على الله في الدنيا، فيقولون: هؤلاء الذين كذبوا في الدنيا على ربهم، فيقول الله تعالى **(أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)** يقول: ألا غضب الله على المعتدين الذين كفروا بربهم[4]، وقد جاء في معنى هذه الآية قوله تعالى : **(إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ * يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ**

---

(١) سورة فصلت ، الآية: ١٣-١٤.

(٢) سورة هود-الآية: ١٨.

(٣) ينظر: التفسير المنير :٣٥٤١٦.

(٤) ينظر:جامع البيان:٢٠١١٢، وصفوة التفاسير:١٠١٢،والدر المنثور: للسيوطي:٤١٢١١٢.

اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)[1]، وفي حديث ابن عمر رضي الله عنه في الصحيحين وغيرهما أنه قال : سمعت الرسول ﷺ يقول : (إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول : أتعرف ذنب كذا ، أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول: أي رب أعرف، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك ، قال : سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته)، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد : **(هَـؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)**[2].

والمتأمل في آيات القران الكريم يجد أن الله عز وجل قد صور لنا صورة واضحة ليوم العرض ، نرى من خلالها ما عليه أصحاب السعادة وما عليه أصحاب الشقاء نجد ذلك ونحن نتأمل في قوله تعالى : **(يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ* فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ* إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ* فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ* فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ* قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ* كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ* وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ* وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ* يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ*مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ*هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ* خُذُوهُ فَغُلُّوهُ* ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ*ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ)**[3]، وفي هذه الأوصاف التي ورد ذكرها في هذه الآيات وغيرها تصاب القلوب بالخشية والخوف والهلع من هول ذلك اليوم الذي يتم فيه العرض للحساب والجزاء ولا تخفى فيه خافية، وكيف يخفى شيء على من يعلم السر وأخفى ؟ فأما المتقون الذين اتقوا الله وخافوا ذلك اليوم فأولئك يؤتون كتابهم بيمينهم ويأخذون صحائف أعمالهم باليمين. واليمين يستعملها العرب في

---

(١) سورة غافر–الآية:٥١–٥٢– ولها اسم ثاني(المؤمن)–غافر.

(٢) ينظر: البخاري : رقم الحديث:٢٣٢٩، كتاب المظالم باب قوله تعالى (ألا لعنة الله على الظالمين).

(٣) سورة الحاقة :الآيات :١٨–٣٢.

مواضع الخير والبركة والفرح والسرور، ولذلك يقول فرحاً مسروراً لأهله ولإخوانه : خذوا فاقرؤا كتابي إنه كتاب يسر قارئيه ، إني تيقنت أني ملاقٍ هذا اليوم للحساب فعملت له خير عمل، وتجنبت لأجله كل سوء ومعصية، ولذلك كانت النتيجة أنه أصبح في عيشة مرضية وحياة سعيدة هنية، هذه الحياة في جنة عالية البنيان شامخة الأركان[١]. فهذه هي صورة المؤمنين، أما صورة الكافرين ومن سلك مسلكهم ، فقد بينت الآيات أن سبب عذابهم وهلاكهم هو عدم الإيمان بالله العظيم ، وعدم بذل المال للمساكين، دل عليه قول الله تعالى: **(إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ)**[٢] حيث إن الكفار يعاقبون على ترك الصلاة والزكاة ، عن أبي الدرداء: أنه كان يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين، ويقول خلعنا نصف السلسلة بالإيمان أفلا نخلع النصف الباقي[٣].

---

(١) ينظر: التفسير الواضح :٩٣١٢٩.

(٢) سورة الحاقة : الآيات :٣٣ /٣٤ .

(٤) ينظر تفسير الرازي ١١٥/٣٠

الخاتمة :

وبعد هذه الرحلة القصيرة في رحاب آيات القرآن ، أسجل أهم ما توصلت إليه من نتائج البحث وذلك وفق الآتي:

أولاً: أخذت آيات الإعراض في القرآن الكريم مساحة واسعة، وقد تنوعت معانيها ومقاصدها وأغراضها، فتارةً تأتي فيما يتعلق في العَرض كالمساحة وما يخالف الطول، وأخرى من حيث البروز والإظهار مما جعلني أقتصر على الأخذ بآيات الإعراض التي تتعلق بحال من أعرض عن الله وحال من أمر بالأعراض عن بعض الأمور التي بينتها أثناء البحث.

ثانياً: توصلت من خلال بحثي أن الله عز وجل قد أمر النبي محمداً صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن الكفار وعن الجاحدين الذين لا يبغون في الأرض غير الفساد كاليهود وكفار مكة، فكان من فوائد هذا الإعراض ومميزاته أننا استفدنا وتعلمنا كيفية ترك المجادلة والمماراة مع أهل الباطل.

ثالثاً: توصلنا من خلال بحثنا في آيات الإعراض كيفية التعامل مع السائلين ومن خلاله أيضاً كيف نتحلى بالخلق الرفيع والآداب العالية كما في قوله تعالى : **(وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاء رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً)**[1].

رابعاً: توصلت من خلال بحثي في آيات الإعراض إلى عظيم شأن الأعمال الصالحة والتكاليف الشرعية التي أمرنا الله تعالى بها كالصلاة والصيام والزكاة إلى غير ذلك ، من خلال التأمل في قوله تعالى : **(إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ)**[2].

خامساً: يبين لنا البحث تنوع معاني آيات الإعراض ومقاصدها وأغراضها.

---

(١) سورة الإسراء–الآية:٢٨.

(٢) سورة ص–الآية:٣١.

سادساً: تناولت آيات الإعراض في القرآن الكريم حال الخلائق يوم العرض على الله، ورسمت لنا هذه الآيات صوراً فنية غاية في الجمال والإبداع، فقد صورت لنا حال الناجين يوم القيام السعداء والذين أخذوا كتبهم بأيمانهم، كما صورت لنا حال من يأخذ كتابه بشماله.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع:

١- الكشاف : للزمخشري ، دار الفكر بيروت ط١-١٣٩٧هـ.

٢- الدر المنشور في التفسير بالمأثور : للسيوطي دار الفكر -بيروت ، ط١ ١٩٨٣م.

٣- النكت والعيون : للماوردي راجعة السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم - دار الكتب - بيروت ط١-١٤١٢هـ.

٤- البحر المحيط: لأبي حيان الاندلسي دار الفكر ط٢ -١٩٧٨م.

٥- أحكام القرآن : للشافعي ، دار الكتب العلمية -بيروت ط١ - ١٩٨٨م.

٦-المفردات الفاظ القرآن :للراغب الأصفهاني ؛تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار الشامية -بيروت ط١ -١٩٩٦م.

٧- الناسخ والمنسوخ : للبغدادي - تحقيق : موسى بنيان علوان- دار العربي للموسوعات - بيروت سنة١٩٨٩م.

٨- التعريفات : للجرجاني مطبعة البابي الحلبي - مصر-١٣٥٧هـ.

٩- أسباب النزول : للواحدي : بإشراف لجنة تحقيق التراث ، دار مكتبة الهلال، بيروت ط٢ ، ١٩٨٥م .

١٠- الأغاني لإبي فرج الأصفهاني : دار الثقافة ، بيروت -١٩٥٨م.

١١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : لأحمد بن محمد الرافعي ، المكتبة العلمية- بيروت.

١٢- العبر في خبر من عبر : لشمس الدين الذهبي تحقيق : د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت - ١٩٦٠م.

١٣- الاستيعاب في معرفة الأصحاب : لابن عبد البر، بهامش كتاب الإصابة، دار العلوم الحديثة ، مصر ط٥، ١٣٢٨هـ.

١٤-الإصابة في تمييز الصحابة : لابن حجر العسقلاني ، دار العلوم الحديثة ، مصر ط١ ١٣٢٨هـ.

١٥- الجرح والتعديل : لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي – دار إحياء التراث العربي – بيروت ط١ – ١٩٥٢ م.

١٦- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب :لعبد القادر بن عمر البغدادي ، مطبعة الاميرية ببولاق ط١.

١٧- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ليوسف بن تعري بردي طبعة دار الكتب المصرية -١٣٧٥هـ.

١٨- أسد الغابة في معرفة الصحابة : لابن الأثير ، المطبعة الوهبية .

١٩- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : لأبي السعود ، إشراف : محمد عبد اللطيف ، مطبعة محمد علي صبيح – مصر .

٢٠- الأعلام : لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ط١ – ١٣٨٩هـ.

٢١- المختصر : للمزنى بهامش كتاب الام ، ط١.

٢٢- الحجة في القراءات :لابن زنجلة ، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة بيروت –ط١ – ١٩٧٤م .

٢٣- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهاج :د. وهبه الزحيلي ، ط١ ٢٠٠٣م .

٢٤- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : للسيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم – المكتبة العصرية – بيروت.

٢٥- تاريخ بغداد : للخطيب البغدادي طبع في مصر ، ١٣٤٩هـ.

٢٦- تفسير القرآن العظيم : لابن كثير، مكتبة دار السلام- الرياض- ط٢ ١٩٩٨م .

٢٧- تفسير غريب القرآن : دار الرائد العربي، بيروت ط٣ – ١٩٨٢م.

٢٨- تفسير البيضاوي : دار الكتب العلمية – بيروت ط١ – ١٩٨٨م.
٢٩- تفسير المراغي : مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – بمصر ، ط٣ – ١٩٩٦م.
٣٠- تهذيب التهذيب : لابن حجر العسقلاني ، مطبعة دار المعارف النظامية في الهند حيدر آباد – ط١ (١٣٢٦هـ).
٣١- تذكرة الحفاظ : لشمس الدين الذهبي ، طبع في حيدر آباد.
٣٢- تفسير الواضح : د.محمد محمود حجازي ، دار الجيل – بيروت –ط١ ١٩٦٩م.
٣٣- جامع البيان في تفسير القرآن : للطبري دار المعرفة ، بيروت – لبنان ط٣ ١٩٧٨م.
٣٤- جامع أحكام القرآن : للقرطبي ، تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط٣ – ١٩٨٧م.
٣٥- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : للسيد أحمد الهاشمي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط ٢.
٣٦- حاشية الصاوي على الجلالين : لأحمد الصاوي المالكي ؛ دار أحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.
٣٧- ديوان الأعشى : لميمون بن قيس ، تحقيق : محمد حسين.
٣٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : للآلوسي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت
٣٩- زاد المسير في علم التفسير : لأبي الفرج جمال الدين بن الجوزي– المكتب الإسلامي – ١٩٦٤م.
٤٠- سنن الترمذي ، تحقيق: كمال يوسف الحوت – دار الفكر – بيروت.

٤١- سير أعلام النبلاء: لشمس الدين الذهبي ، تحقيق: بشار عواد المعروف – مؤسسة الرسالة، ط٤ – ١٩٨٦م.
٤٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب : لعبد الحي بن العماد الحنبلي، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٨٨م.
٤٣- صحيح البخاري ، عالم الكتب – بيروت ، ط٤- ١٩٨٥م.
٤٤- صفوة التفاسير للصابوني : لمحمد علي الصابوني ، دار الفكر – بيروت
٤٥- طبقات الحفاظ : لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٩٨٣.
٤٦- طبقات المفسرين : لجلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية – بيروت.
٤٧- طبقات الشافعية الكبرى : لتاج الدين السبكي – طبع في مصر – ١٣٢٤هـ.
٤٨- طرح التثريب في شرح التقريب : لزين الدين عبد الرحيم بن الحسيني العراقي، مطبعة جمعية النشر والتأليف الأزهرية ، القاهرة ، ١٣٥٣هـ.
٤٩- عجائب الآثار في التراجم والأخبار: لعبد الرحمن بن حسن الحبرتي – دار الجيل – بيروت .
٥٠- كتاب التسهيل لعلوم التنزيل : لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان – ط٢ – ١٣٩٣هـ -١٩٧٣م.
٥١- كشف اصطلاحات الفنون : لمحمد علي بن علي بن محمد التهانوي، تحقيق : أحمد حسن بسيج.
٥٢- لباب النقول في أسباب النزول : للسيوطي ، دار إحياء العلوم، بيروت – ط١ – ١٩٧٨م.
٥٣- لسان العرب : لابن منظور، تحقيق :عبد الله علي الكبير – دار المعارف.
٥٤- مختصر تفسير ابن كثير .

٥٥- معرفة القراء الكبار على الطبعات والأعصار: للإمام الذهبي ، تحقيق : الدكتور بشار عواد ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط١ ١٩٨٤م .
٥٦- ميزان الاعتدال في نقد الرجال : للذهبي ، طبع في مصر (١٣٢٥هـ) تحقيق: محمد البجاوي .
٥٧- مفتاح الغيث: المشهور بالتفسير الكبير : للفخر الرازي : دار الكتب العلمية – طهران ط٢ .
٥٨ – مختار الصحاح : لمحمد بن أبي عبد القادر الرازي ، مكتبة لبنان – المحقق : محمود خاطر – بيروت ١٩٩٥م .
٥٩- معجم مقاييس اللغة : لابن فارس ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الفكر .
٦٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لابن خلكان ، تحقيق : د. إحسان عباس ، دار الثقافة – بيروت .
٦١- معجم الأدباء : لياقوت الحموي ، ط ١، دار المأمون بالقاهرة – ١٩٣٦م.

* * *